

بسم الله الرحمن الرحيم

الميزان في حياة الإنسان

تأليف الشيخ؛ جهيمان بن
سيف العتيبي
رحمه الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا
مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا
وأنتن مسلمون)، (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من
نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان
عليكم رقيبا)، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا
سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع
الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما).

أما بعد:

فإن اصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى
محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد قال الله في الآية الاخيرة قولا من أخذ به غفرت
له ذنوبه وصلحت أعماله - وهو القول السديد - وقد كان
من تعليم النبي صلى الله عليه وسلم لامته أن يقولوا كما
في مسلم من حديث علي رضي الله عنه (اللهم اهدني
وسددني وأذكر بالهداية هدايتك الطريق وبالسداد سداد
السهم).

فإليك ميزان القول السديد من الكتاب والسنة
للاقوال والأعمال لتسلم من الزيادة والنقصان:

وبيان ذلك أن من حرم ما أحل الله فهو شيطان فإذا أردت أن تزن بهذا الميزان فعليك بتدبر ثلاث آيات من كتاب الله تعالى:

أما أولها؛ فقوله تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ)، وأما الثانية فهي قوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)، وأما الثالثة فقوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا).

فلو تدبرت هذه الآيات الثلاث لعلمت ان الدين هو ما كان أمراً أو نهياً منه، فقد أمرنا ان نتبع ما أنزل إلينا على رسولنا صلى الله عليه وسلم ولم يستثنى من هذه الآية أى مكلف أبداً. ومما أنزل إلينا؛ ان تنتهى عما نهانا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وان نفعل ما أمرنا به ونتأسى به فيما عمل - ما لم يكن في ذلك مخصص له - فإذا أردت السلامة فخذ بهذا الميزان.

وإذا جاءك امر أو ناه عن امر، فقل له؛ هل امر الله ورسوله بذلك؟ وهل نهى الله ورسوله عن ذلك أو عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فهذا تكشف علمه أو جهله.

بشرط؛ ألا وهو عدالة ذلك القائل عند المسلمين الذين يعتد بكلامهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث البخارى (أنتم شهداء الله في أرضه فمن شهدتم له بخير وجبت له الجنة)، ولأن الفاسق لا يؤخذ خبره إلا بعد التثبت والتبين، فلذلك جاء ديننا بالاسناد، فهو قد أتى به جبريل عن ربه، وقد قال الله في وصف جبريل عليه السلام: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) وقوله: (مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ)، ومن جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذى قال الله عنه: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)، وكذلك قال الله تعالى عنه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)، ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه العِدول الذين وصفهم الله تعالى فقال: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)، وقال عنهم: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)، وقد سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله في

الحديث المتواتر: (من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)، وقد قال ابن الطفيل رضى الله عنه كما في صحيح مسلم (لو لم أسمع هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سبع مرات ما حدثت به)، واتبعهم أهل الحديث الذين لا يقبلون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بشروط؛

أن يكون الراوى عدلاً، وضد العدالة الفسق فلا تقبل رواية فاسق.

ثانياً: وأن يكون الراوى ضابطاً، فلا تقبل رواية من يخلط في روايته.

ثالثاً: ان أن يكون السند يتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذين الشرطين في كل راوى والا تكون في الحديث علة تقدح في روايته والا يخالف الراوى الضابط من هو أضبط منه.

فهؤلاء هم أهل الحديث الذين دعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في الحديث الصحيح الذى أخرجه احمد (نضر الله امراء سمع مقالتي فوعاها، ثم اداها كما سمعها، فرب حامل فقه وليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو افقه منه).

وهم الطائفة الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: (لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله).

وهؤلاء المقصودين هم أهل الحديث كما ثبت عن على بن المدينى والامام احمد وغيرهم.

فهم لا يضرهم من خالفهم لأنهم على بينة، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين (ياتى النبى يوم القيامة وليس معه احد)، فهل ضر النبى كثرة المخالفين وقد خالفته امة باكملها، وهذا هو معنى قوله تعالى: (لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)، فهم كذلك لا يضرهم من خذلهم لان الله تعالى حسبيهم وكافيهم كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن أخيه لوط (رحم الله أخى لوط فإنه كان يأوى إلى ركن شديد)، ومع ذلك فهو لم يكن له أعوان من أمته ولا قبيلة تدافع عنه أذى قومه.

أما من ناحية التحريم والتحليل فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عن ربه أنه قال: (خلقت عبادى حنفاء كلهم فجاءت الشياطين فاجتلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا... الحديث)، فظهر لك إن التحليل والتحريم لا يكونان إلا عن الله تعالى أو عن من أذن لهم كالرسل عليهم السلام.

واعلم أن الذى افسد حياة الناس؛ هو انهم لا يزنونها بهذا الميزان، فمجتمعنا الذى نعيش فيه اليوم حينما تتأمل في اهله تجد ان اكثرهم ممن اثر الدنيا واقترب من السلطان، وهم بين رجلين مدافع عن الباطل وساكت عنه - إلا ماشاء الله -

وقد قال بن القيم رحمه الله تعالى في هذه الاصناف في كتاب "الفوائد" [ص 100]: (كل من اثر الدنيا من اهل العلم واستحبها فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه وخبره وإلزامه، لأن احكام الرب سبحانه وتعالى كثرا ما تاتى على خلاف أغراض الناس ولا سيما اهل الرياسات، فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرا، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاذه من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيختفى الصواب وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرا لا خفاء فيه ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته، وقال: لي مخرج بالتوبة، وفي هؤلاء ولشبهاهم قال الله تعالى: "فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكُتُبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى حَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"، فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم، وقالوا سيغفر لنا، وإن عرض عليهم عرض آخر اخذوه، فهم مصررون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على ان يقولوا على الله غير الحق، فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه، وهم يعلمون أن

حكمه وشرعه ودينه خلاف ذلك، أو لا يعلمون ان ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون وتارة يقولون على الله ما يعلمون بطلانه...)، إلى ان قال: (وهؤلاء لا بد ان يتدعوا في الدين مع الفجور في العمل فيجتمع لهم الامر ان، فإن اتباع الهوى يعمى عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة أو ينكسه فيرى السنة بدعة والبدعة سنة، فهذه أفة العلماء إذا أثروا الدنيا واتبعوا الرياسيات والشهوات، وهذه الايات فيهم وهي قوله تعالى: "وَأَنبَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يُلْهَثُ أَوْ يَتْرِكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ"، فهذا مثل السوء الذي يعمل بخلاف علمه) أه من كتاب الفوائد.

فحذار من الاصناف التي ذكرها ابن القيم؛ أن يلبسوا الحق من اجل رغبتهم في دنيا من يعيشون تحتهم أو لرهنتهم من سلطانهم وجبروتهم، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول كما في حديث البخاري ومسلم (اليد العليا خيرا من اليد السفلى فاليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة).

قلت: ما دام ذلك معلوم؛ أن ايدى من يعيشون تحت سلطان وسيطرة غيرهم وينفق عليهم فأيديهم هي السفلى، فالان اجتمعت الرغبة والرغبة، فلذلك لا تستطيع اليد السفلى ان تقيم اليد العليا، فهم لا يستطيعون ان يقيموا من فوقهم لخوفهم منهم ولا يستطيعون ان يفارقوهم لرغبتهم فيما عندهم.

وقد ذكر بن القيم كلاما في هذا الموضوع من ناحية الرغبة والرغبة وان يكون الناس في جانب والله ورسوله في جانب، فنذكر الشاهد من كلامه في هذه الاصناف من كتاب "الفوائد" [ص 115] مانصه: (فكن في الجانب الذي فيه الله ورسوله، وإن كان الناس في الجانب الآخر فإن لذلك عواقب هي احمد العواقب وافضلها وليس للعبد أنفع من ذلك في دنياه قبل آخرته، واكثر الخلق انما يكونون في الجانب الآخر ولا سيما اذا قويت الرغبة والرغبة، فهناك لا تكاد تجد احد في الجانب الآخر الذي فيه الله ورسوله بل بعده الناس ناقص العقل سئ الاختيار لنفسه، وربما نسبوه إلى الجنون لما كانوا في شق وجانب والناس في شق وجانب آخر، ولكن من وطن نفسه على ذلك فإنه يحتاج إلى علم راسخ بما جاء به الرسول يكون يقينا لا ريب فيه،

والى صبر تام على معاداة من عاداه ولومة من لومه، ولا يتم له ذلك إلا برغبة قوية في الله والمدار الآخرة بحيث تكون الآخرة أحب إليه من الدنيا ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وليس شيء أصعب على الإنسان من ذلك في بادئ الأمر، فإن نفسه وهواه وطبعه وشيطانه وإخوانه ومعاشريه من ذلك الجانب يدعونه إلى العاجل، فإذا خالفهم تصدوا لحربه، فإن صبر وثبت جاءه العون من الله وصار ذلك الصعب سهلاً وذلك الألم لذة...، ثم قال كلاماً نفيساً فليراجع.

واعلم ان المنافقين لأجل انهم حازوا كل رذيلة، فإذا حذرت من أي رذيلة، قالوا؛ يقصدنا بذلك!! فهم قد وصفهم الله تعالى: (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ)، وقد كثروا في زماننا هذا، فلا يتكلم متكلم بنصيحة من الكتاب والسنة إلا قالوا قولتهم.

فأقول! ان الامر جد ومثابرة وتحري للحق، فأعد للدار زاد وللسؤال جواباً، فإنه لا يد للعبد من شيئين: قبر هو يساكنه، ورب هو ملاقيه، ففي القبر يتبدل الجليس بجليس آخر، وسوف تسئل عن ثلاث، كما في حديث البراء بن عازب رضى الله عنه الذى رواه ابوداود بإسناد صحيح، وهى: (من ربك؟ وماذا تقول في هذا الرجل؟) - يعنى محمداً -

وإليك جواب الموقنين، وجواب المقلدين، من حديث انس في الصحيحين؛ (فاما المؤمن فيقول؛ أشهد انه عبد الله ورسوله، فيقال له؛ انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراها جميعاً، وأما الكافر والمنافق فيقول؛ لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه، فيقال؛ لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين).

هذا من عذاب القبر، وأما لقاء الله تعالى فقال: (فَلْيَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ وَلْيَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلْيَقْضُوا الْفِتْنَةَ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ أُنْفُسِهِمْ وَمَا كُنَّا بِمُصَدِّقِينَ لِمُكْفِرِينَ * وَمَنْ تَقَلَّبْ مِن وَّأَزْبِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ).

وقد قال بعض أهل العلم - استنباطاً من هذه الآية وغيرها -؛ شيئان يسئل عنهما الأولون والآخرون؛ ماذا كنتم

تعملون؟ وماذا اجبتم المرسلين؟ فاستعد يا ابن ادم واياك والتسويق فإنك جئت إلى الدنيا بساعة لم تخترها ووستخرج من الحياة بساعة لن تخترها.

وفي هذه الآية علم انه لا يرجح في الميزان الا ما كان حقا، فلا يرجح في الميزان الا ما كان خالصا لله وصوابا على ما شرع الله، وهذا يرد على فرقتين؛ أولى تعترض على العلم وتقول (اللى ما قرى ما درى!!)، والفرقة الثانية تقول (نيتى طيبة).

فهذا ابو البشر عليه السلام لما عمل بغير علم وسلك غير الطريق الذى شرع له ونيته طيبة ما قرىه عمله من الله ولم يقبله منه - وهو اكله من الشجرة -

واليك من علم ولم يكن قصده الله والدار الاخرة فلم ينفعه علمه؛ في حديث اسامة بن زيد رضى الله عنه، قال؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقباب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع اليه اهل النار، فيقولون؛ يا فلان مالك؟! الم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! فيقول؛ بلى كنت امر بالمعروف ولا آتية وانهى عن المنكر واتيه) متفق عليه.

ومن سخر علمه لنيل اغراضه فقد ضل واضل.

فإلى إخواننا الذين يحبون نشر السنة والفضيلة والابتعاد عن التقليد والرذيلة، وأن يثبتوا في امر دينهم لينتفعوا وينتفع بهم من كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد، فأقول، وأدعوا الله أن يحفظهم بالاسلام قائمين وقاعدتين وراقدين، وأن لا يشمت بهم عدوا ولا حاسدا، وأن يمنحهم من كل خيرا حزانته بيده، وأن يعذبهم من كل شر حزانته بيده، وأن يجعلهم هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين، فأقولها كلمة مشفق على طريقة التوجيه والنصيحة، وخوفا عليهم من شماتة الجهال بالسنة، الذين هم كالآيتام، وهم اهل المذاهب واتباعهم، لان الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعاذ من شماتة الاعداء، وهم اعداء اهل السنة.

وأضرب لهم مثلا إذا فهمه المنصف اختار لنفسه اسلم الطريقتين.

فمثلهم ومثل أهل السنة - اعنى أهل الحديث - كمثل رجل مات وخلف بستانا من النخل قد تم وما بقى الا قطف ثمره، وله أربعة اولاد، فأحد هؤلاء الأربعة اعتنى بهذا النخيل، وحماه من أن يدخل فيه شيء يفسده أو يغير معالمه، وكان احد الاخوة يوافقه على طريقته ويقول اعطني حقي من الثمر ويشدد عليه مع ثقته بان اخاه لا يدخل فيه - أي الثمر - إلا ما يستحقه من الميراث فهما متفقان وكل أخذ بنصيبه، والآخر الثالث فيوم على اخيه الرابع - لأنه صغير يتيم أعمى - فيذهب القيوم إلى البستان في الليل، ولكنه كسلان لا يتحمل ان يجنى مثلما يجنى الاول، فهو يلتقط ما يسقط على الارض من النخيل حتى يملأ هذا الكيس له ولأخيه الصغير الأعمى من كل سواد من تمر وتراب، وربما سقط في الكيس حبة أو بعرة أو دمنة.

فأقول؛ فأما البستان؛ فهو ديننا الذي اكمله الله على لسان رسولنا.

وأما الورثة؛ فهم أمته، ولم يورث الرسول صلى الله عليه وسلم درهمًا ولا دينارًا وإنما ورث العلم فمن أخذه فقد أخذ بخط وافر.

فأما الاول من الورثة الأربعة؛ فهو من عرف من الكتاب والسنة وعرف حدود السنة وحماتها من الأعداء ان يدخلوا فيها ما ليس منها.

والثاني؛ من لا يقبل الا ما كان من كتاب الله تعالى وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو لاحق بأخيه الاول، سالك مسلكه، فانهما متفقان في الطريق، وكل منهما يعتبر من أهل الحديث، وكل منهما مثبت.

وربما يكون الصنف الثاني ممن لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولكن لم يمنعه ذلك من التثبت في دينه ومعرفة ممن يأخذ دينه لأنه يعلم ان امة محمد امة أمية، وكما ثبت ذلك في الآية وفي الحديث الصحيح (نحن امة أمية لا نكتب ولا نحسب)، فهذا طالب علم بخلاف مفهوم المتأخرين وتسميتهم لهم "عوام"، وله ولأخيه أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم حينما قال له الاعرابي: (أني سالك ومشدد عليك)، وهل ترى الاعرابي الذي الذي أناخ راجلته بباب المسجد وسأل ثم رجع، فهل تراه طالب علم أم انه جاء ليكتال له زادا ويرجع؟ فوالله ان وقتنا قليلا يقضى في طلب العلم مع أهل الحديث خير من طلب العلم وقتا طويلا

مع أهل المذاهب، وسوف ابين برهان ذلك في آخر الرسالة إن شاء الله.

فمن تسهل السنة ما ورد في صحيح مسلم؛ أن رجلا جاء والرسول صلى الله عليه وسلم بخطب فقال: (يا رسول الله رجل لا يعرف من دينه شيئا)، فقطع الرسول صلى الله عليه وسلم الخطبة وأقبل عليه وعلمه ثم رجع الرسول صلى الله عليه وسلم وأكمل الخطبة.

فهذه والله المدرسة، وإلا فمدارسكم غث وبلية.

أما الصنف الثالث من الورثة؛ فهو عالم المذاهب، فتجده قد ملا كتبه بالآيات والأحاديث الثابتة والضعيفة والمكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبدع، وينفق على الجهال العميان، ويحيل هذا إلى حكم الله ورسوله، وإذا سأل أخوه اليتيم الأعمى من أين أتيت بهذا؟ نفر عليه وقال؛ انت لا تثق بي! فهذا قوله لأخيه إذا أراد ان يتثبت منه، خوفا من ان يكشف جهله.

ولا يستطيع من له بصيرة ان يحكم علي ان كل ما في هذا الكيس لا فائدة فيه، لأن بعضه من الثمر الصالح وبعضه مما أدخل فيه من الاصناف المتقدمة، فإذا قلت؛ في هذا الكيس خراب، فسوف يطلع لك تمرة ويشهرك بين الناس ويقول؛ انظروا هذا من ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا بد ان يؤخذ منه كيسه بالقوة ويأتي إنسان عنده علم بهذا الشيء فيأخذ ما كان طيبا ويميط عنه التراب ويرى الجهال الحية ويقتلها - وهي البدعة - ويرهم الدمنة أو البعرة ثم يحرقها، وهو ما كذب على الرسول صلى الله عليه وسلم من الأحاديث وما لم يتثبت عنه، ولكنك لا تستطيع ان تأخذ كيسه لأنه يتعاون عليك هو وأخوه الأعمى.

فبان لك الاصناف الاربعة الذين جمعهم الاسلام، فالأول من علم السنة، والثاني من أخذ عنه، والثالث من جمع ما هب ودب وجمع حوله مجموعة، والرابع الأعمى المقلد لأخيه الثالث.

فأقول؛ أسأل الله ان يعيدكم من شماتة الاعداء ومن التفرق وطرق الردى، ومن صفتين غابهما الله تعالى في كتابه، الأولى التسرع في إصدار الحكم ثم المتراجع عنه، وهذا يدخل تحت قوله تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَصَّتْ

عَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا)، وتترتب عليها صفة اخرى وهي
عدم الاستيقرار، قَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ آيَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ (فَتَزَلِ
قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا).

قلنا! هذا قد يوجد في بعض المنتسبين إلى علم
الحديث الذين يتسرعون في الحكم بمسألة أو صحة حديث
أو ضعفه من غير ان يترووا في الامر، ثم سرعان ما يتبين
له خلاف ما ذهب إليه فيتراجع.

وبسبب ذلك انتزعت الثقة منه ومن أهل الحديث
عامة عند بعض الناس، بحجة أنهم يتسرعون في بعض
احكامهم وتصرفاتهم، حتى أنهم قالوا؛ ان الاسلام للعبد هو
ان يأخذ بما دونه (.... [1]) الاوامر ولو بغير دليل، ظناً
منهم انهم قد الموا بكل شيء، وان لهم في كل مسألة
دليل وان لم يبينوه، وقد بين بطلان هذا الظن الشيخ الامين
الشنقيطي في تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم
من "أضواء البيان" [ج 7] فارجع اليه.

وهذا المتسرع قد تقول الله بغير علم، وقد قرن الله
تعالى القول عليه بغير علم بالشرك، فإذا كثر قول صاحب
الحديث وتراجع انتزعت منه الثقة وبحت عن غيره، وبهذا
يكون قد جنى على نفسه بتصرفه الخاطيء، بحيث يتخذ
الأعمى ووليه ذلك التصرف منه حجة لهم لتفريق الناس
وتغييرهم عن السنة وأهلها، وسبب ذلك انه ما فقه السنة
بل اشتغل بالتجريح والتعديل وجعله اكثر همه، ولم يفقه
قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى في البخارى:
(لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله
صديقاً)، فانظر إلى هذه الكلمة العظيمة وهي تحرى
الصدق، فوالله ما ارتفع قدر أهل الحديث إلا بذلك، فتجد
اكثرهم تثبتاً أعظمهم منزلة عند أهل الاسلام، كالبخارى
وغیره.

وربما يدخل الشيطان عليه من أحد مداخله الكثيرة،
ومن ذلك قوله "ان التراجع إلى الحق فضيلة"، فنقول له؛
كذلك عدم التثبت رذيلة، وإنما الفضيلة والورع هو الابتعاد
من ان تنتشر بين صفوف المسلمين ما لم يثبت،
والمسلمون ليسوا في قبضتك ولا عضو من اعضاءك تقيمه
متى تشاء، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -

¹ (نقص - والله أعلم - في نسخة الرسالة التي بين ايدينا!) (منبر
التوحيد والجهاد).

كما في البخارى - في الرجل الذي يشق شذقه حتى يبلغ قفاه؛ أنه يكذب الكذبة فتبلغ الافاق.

فأقول؛ اترى هذه الكذبة حملت نفسها فانتشرت؟! الجواب؛ أنه تكلم في مجلس، وفي هذا المجلس من يريد الشرق ومن يريد الغرب، فكل حمل ما سمع وبلغه، والأثم على المتسرع.

فأعيد وأحذر من عدم التثبت في دين الله، فقد حذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم من التسرع والعجلة، فقال تعالى: (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا).

وأقول؛ يا أهل العلم اتقوا الله، ولست اعنى بأهل العلم المقلدين، بل اعنى بهم أهل الحديث، كما اجمع على ذلك أهل العلم الذين يعتد بهم.

فالان أريد ان ابين ما وعدت أن أبينه في أحر الرسالة، فوالله ما أردت بذلك إلا التحذير والنصيحة وأدعوا الله ان يخزني إن كان قصدي التشهير والفضيحة، فقد قلت ان وقتا قليلا يقضى مع أهل الحديث في طلب علم خير من وقت طويل يقضى مع أهل المذاهب.

وإليك قصة رجل قضى اربعة عشر سنة في دراسة مذهب الشافعى، حتى انه يقول: (ما من اية في كتاب الله إلا وقد كتبتها بيدي مرتين)، وهو يدرس على مذهب الشافعى، ويقول: (كنت خلال الاربعة عشر سنة لا أفرق بين الشافعى ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المنزلة)، وهذا الشخص هو الاخ "محمد خير"، وقد طلب العلم الصحيح، وهو الان موجود على قيد الحياة وبعد من أهل الخير، وقد حدثنى هذا الخبر بحضور كثير من الاخوان، فهذا من أهل المذاهب ولو أردت ذكر غيره لذكرت من مخازيهم وأكثر.

وإليك هذه الدراسات النظامية والمشخة الجبرية؛ فقد كنت ادرس في دار الحديث وقال لي احد المتخرجين من دار الحديث والجامعة لما رأى ان لي رغبة في العلم، قال لي: (يا فلان! والله لقد دخلت دار الحديث والجامعة وتخرجت منها ولم استفد شيئا، وإنما عرفت من طلبة الجامعة ومدرسيها انهم "متعوشة"!!)، يقصد انهم

يدرسون من أجل المعاش والشهادة المتى يتعيشون بها،
كما قال بعض طلابهم:

يا خيرة الاقوال
ليس المدرس مخلصا
ووضعوك في الاغلال
والطفل غير مبال
هذا لنيل شهادة
وذا لنيل المال

ولولا خوفي عليه من الفتنة لذكرت اسمه، إلا انه
استثنى رجلين وهما الشيخ "عبد العزيز بن باز"، والشيخ
"الشنقيطي" رحمه الله صاحب "أضواء البيان".

فأقول؛ يا معين الصابرين اجتمع للمسلمين شيخ
جبري وحاكم جبري!

وقد قابلت احد الدارسين في الدراسة العليا - كما
يسمونها - فقال لي لما علم أنني من "الاخوان" [2] يريد
أن ينصحنى: (انى قد قابلت أحد أخوانكم بشقراء فتكلمنا
في حديث فضعه، ونحن ما وصلنا هذه الدرجة من
التضعيف والتصحيح، فانا لا نزال في الالف باء)، فسألته
عن عدد السنوات التي درسها بحضور بعض زملائه؟
فوجدناها "18" سنة! فقلت له: (إذا كنت درست ثمانى
عشر سنة وأنت لا تزال في الالف باء فمتى تقرا
الفاتحة؟! فهذا الاخ الذى قابلته في شقراء قد طلب علم
الحديث هو وعدد من الاخوان على الاخ "مقبل" حفظه الله
مدة أسبوع، ثم قال لهم؛ ابحثوا عن غيرى فقد أخذتم ما
عندى).

فإذا فهمت ما تقدم سهل عليك طلب العلم، وإلا
انخدعت بمن تعسر عليهم الطريق وعسروه على غيرهم،
ويظهر لك من القصة الاخيرة أنه إذا سمع قول هذا
الدارس مبتدئ في طلب العلم سيعتقد ان الالدين صعب،
وقد قال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ
مُدَّكِرٍ)، ومع ذلك لا أصل إلى معرفة كيفية تصحيح الحديث
وتضعيفه، فهذا العلم شاق ولا بد له من التفرغ من أول
العمر.

وإذا سمع قول الاخير، وانه اخذ من هذا الاخ في
حدود سبعة أيام طريقة معرفة صحيح الحديث من ضعيفه،

(2) أي؛ "اخوان من أطاع الله".

فسوف يندفع السامع ويسهل عليه طريق العلم والتزود منه.

وهذا هو فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان كما في البخاري في قصة "ثمامة" حينما أسلم، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم؛ اذهب واقضى عمرتك، وما أعطاه منسك العمرة ولكنه عرف ربه ونبيه، فلا يقبل إلا عن الله ورسوله، ولما لامته قريش بين موقفه منهم، وقال؛ اتبعت محمدا وسوف امنع عنكم ما يأتي من بلدي إلا بأذنه.

وكذلك ما في الصحيحين في قصة مالك بن الحويرث، لما أخذوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر يوما، فقال: (أذهبوا إلي قومكم فاعلموهم)، فهذا تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صار على طريقه، وهذه هي الحنفية السمحة.

وقد قال ابن تيمية رحمه الله في فتاويه: (مثل أهل الحديث مع ملل الإسلام الثانية كمثل ملة الإسلام مع الملل الثانية، فإن أهل الحديث يدركون ما لا يدرك غيرهم في السنوات الكثيرة في وقت قصير في طلب العلم).

قلت: أعلم ان أهل الحديث هم الذين علموا السنة وفقهوها مع آيات الكتاب، وأما البعض منهم؛ "حملة فقه"، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رب حامل فقه ليس بفقيه) إرواه احمد، وهو صحيح، وهم الأكثر، وبهم يجد أهل المذاهب مدخلا للطعن على أهل الحديث.

فنصيحتي لهم ان لا يقولوا بحديث حتى تراجعوا شرح أهل الحديث في كتبهم، فإن كل حديث قد جعلوا عليه بحثا من جهة اللغة وبيان ما يؤخذ منه من الاحكام وما يقابله من الاحاديث والجمع بينهما، ولم يأخذوا قبل تأليفها شهادة من الأزهر ولا من بلاد الكفار، أما أهل المذاهب فإن متقدميهم خيرا من متأخريهم، فإن من صفات المتأخرين الكسل وأن يقنعوا بالادنى ويتركوا الأعلى.

واليك ما قال فيهم الشيخ احمد بن ناصر ابن عثمان الحنبلي رحمه الله - أحد علماء الحنابلة في نجد - فقد ذكر في مجموع الرسائل النجدية [ص 25]: (وأما المتعصبون لمذاهب الأئمة تجدهم في أكثر المسائل خالفوا نصوص أئمتهم واتبعوا اقوال المتأخرين من أهل مذهبهم، فهم

يحرصون على ما قاله الآخر فالآخر، وكلما تأخر الرجل أخذوا بكلامه وهجروا أو كادوا يهجرون كلام ما فوقه، فأهل كل عصر انما يقضون بقول الادنى اليهم، وكلما بعد العهد ازداد كلام المتقدمين هجرا ورغبة عنه، حتى ان كتب المتقدمين لا تكاد توجد عندهم، فإن وقعت في أيديهم فهي مهجورة، فالحنابلة قد اعتمدوا ما في "الاقناع" و "المنتهى"، وإليك كلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى - كما في "الدرر السنية في الاجوبة النجدية" -؛ "وأكثر ما في "الاقناع" و "المنتهى" مخالف لمذهب أحمد ونصه"، ولا ينظر فيما سواهما، ومن خالف مذهب المتأخرين فهو مخالف لمذهب أحمد رحمه الله مع ان كثيرا من المسائل التي جزم بها المتأخرون مخالفة لنصوص أحمد، يعرف ذلك من عرفه، وتجد كتب المتقدمين من أصحاب أحمد مهجورة عندهم، بل قد هجروا كتب المتأخرين كـ "المغنى" و "الشرح" و "الانصاف" و "الفروع" ونحو هذه الكتب لا ينظرون فيها) انتهى كلام الشيخ أحمد بن ناصر.

قلت؛ فالسلامة تحتاج إلى مفتي ومستفتي، فالسائل إذا سئل يقول؛ ما هو حكم الله ورسوله في هذه المسئلة؟ والمفتي إذا جاء سائل بجهل فيعلمه كيف يسأل ويخبره ولا يعلق بنفسه، وهذا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم - كما في البخاري - أنه قال لعائشة: (أتعلمين فيمن وضع السحر)، فبين أصل الخبر.

بهذا نكتفى.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

**تم تنزيل هذه المادة من
منبر التوحيد والجهاد**